وصف مخطوطات

زار بعض أعضاء مجمعنا مكتبة الاستاذ الشيخ ابي اليسر عابدين وتصفح كتبها ومجاميع رسائلها فرأى ان ينشر أسماء بعض الرسائل التي عثر عليها فيها :

(١) (زَغَل العلم والطلب) هي رسالة للحافظ الذهبي ضمّنها نقد العلوم الشائعة في زمانه وبيان النافع منها والضار ولم يقتصر في ذلك على العلوم الدينية بل تخطاها الى علوم الحكمة والرياضيات والطبيعيات وهي في نحو ثمان صفحات .

(٢) (رسالة العالم والمتعلم) لابي حنيفة النعمان وهي مرتبة على السؤال والجواب هكذا : قال المتعلم ما كذا وكذا . قال العالم في جوابه كذا وكذا . والحوار يدور حول مسائل العقائد والآداب والأخلاق . وهي في نحو عشرين ورقة .

(٣) (محاسن الآداب) لزين الدين عمر المارديني ألفها سنة ٩٧٥ هـ .

(٤) (سفينة الصالحي) الصالحي من علماء دمشق وأدبائها وهو مشهور بحسن الخط وسفينته هذه مجموعة نفيسة مشحونة بمسائل الأدب والتاريخ وسائر العلوم . وهي واقعة في مجلد لطيف الحجم وقد افتتح خطبتها بقوله : (الحمد لله الذي أجرى في بحار الأفكار سفينة الفصاحة والبلاغة الخ وقد كتبت سنة ١٠٤١ هـ .

(٥) ديوان خليل بن مصطفى الدمشقي الشهير بالرومي من رجال القرن الثاني عشر وعمّر الى القرن الثالث عشر فمات سنة ١٢٢٠ هـ . ولم نخص هذا الديوان بالذكر لعلو مكانة ناظمه في الشعر وانما هو يبين سبب كل شعر قاله ويتخلل هذا البيان أحياناً فوائد تاريخية وتراجم رجال مماتهم معرفته كل باحث في تاريخ دمشق في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر . وقد عاش صاحب الديوان تسعين سنة .

(٦) ويلي الديوان المذكور رسالة تتضمن موشحات للاندلسيين سماها جامعها (الكواكب السائرة) وبعد ان فرغ من الموشحات الاندلسية اتى على ذكر موشحات الشاميين فذكر من ذلك ما يطيب ويحلو . وفي ذيل هذا المجموع سبع وعشرون قصيدة كلها من بحر السلسلة الذي أولع به الشاميون في عصورهم الأخيرة . وأحفظ من ذلك قصيدة أظنها للشيخ عثمان البصير الحموي من رجال القرن الماضي مطلعها :

(السيف من اللحظ ما تجرّد أوصال الا بفؤادي سطا وقطّع أوصال)
منها (الله بصبٍ · متيّمٍ ومحبٍّ · هل نفحةُ قربٍ · فحال صبري قدحال)
والقصائد السبع والعشرون كلها على هذا النمط والأسلوب في النظم ·

(٧) مجموعة رسائل لملا علي القاري منها رسالة في (أويس القرني) ورسالة في مناظرة الشيعة فيما يذهبون اليه مع الرد عليهم · والتعجيب منهم ·

(٨) مجموعة رسائل : منها رسالة في الطب لابي قاسم النيسابوري ورسالة في قهوة البن اسمها (إشراق الضحوة في محو ظلام القهوة) ·

(٩) مجموعة أخرى : منها رسالة (المفرحات في اللغز والرموزات) وهي تتضمن مسائل في فنون مختلفة وكلها مما يلغز به او يقال ان عبارتها واردة على طريقة الألغاز والأحاجي ومؤلفها العالم التركي المشتهر بناقد وهي مرتبة على السؤال والجواب وتبلغ نحو عشرين ورقة ·

(١٠) مجموعة رسائل للشيخ الاكبر في موضوعات تصوفية مختلفة : منها رسالة اربع ورقات أجاز فيها الشيخ الاكبر الملك العادل بناء على طلب الملك المشار اليه · وقد أودعها اسماء مؤلفاته وشيوخه ومسموعاته ·

(١١) مجموعة رسائل للفقيه (الحموي) المشهور أولها رسالة (الدر المنظوم في فضائل الروم) وقد عنى بالروم الأتراك العثمانيين وملوكهم الى سنة (١١٠٠ هـ) · وفيها فوائد تاريخية عن أعمال ملوك بني عثمان المتأخرين ·

(١٢) مجموعة رسائل أخرى للحموي المذكور : منها رسالة في (إثبات تصرّف الاولياء في الحياة وبعد الممات) وفيها نقل عزاه للسبكي يقول فيه : (ان بعض الأولياء كان يبيع المطر ! !) ورسالة (بدّلت السير بالمنام) وهو بحث لغوي يشرح لنا الصواب في دخول الباء بعد فعل (بدّل) وعلى اي مفعولين تدخل فهل يقال (بدّلت السير بالمنام او المنام بالسير) وهذه الرسالة في ثلاث صفحات · ورسالة (الروض الزاهر) فيما يحتاج اليه المسافر براً وبحراً) وفيها فوائد عن السفر وآدابه وهي تتضمن نحو (١٨) صفحة : منها نحو ثمان صفحات في الأوراد والأذكار التي

يتلوها المسافر . وبقية الرسالة في بيان ما يحتاج اليه المسافر من القوانين والتدبيرات الطبية وتدبير العساكر في نزولها وترحالها وقد ألّفت هذه الرسالة سنة (١٠٧٣ هـ) .

(١٣) مجموعة رسائل معظمها لابن كمال باشا منها رسالة نظام العلماء لمؤلفها (كافي افندي الاقحصاري) من علماء الدولة العثمانية وقد جمع فيها تراجم (٢٨) عالماً هم شيوخه المتسلسلين منذ زمن صاحب الرسالة الى آخر عالم تركي تلقى عنه ثم ترجم لنفسه فقال ان جده كان نصرانياً من أهل الاسكندرية ثم هاجر الى (اقحصار) وهناك أسلم . وقد ألّف رسالته هذه سنة ١٠٠٨ وفي هذه الرسالة فوائد تاريخية ذات قيمة .

(١٤) كتاب لابن حجر الهيثمي في فضائل الصحابة الاربعة من حيث يؤدي ذكر هذه الفضائل الى تزييف ما يقوله الشيعة فيهم رضي الله عنهم . وفي الكتاب أخبار وآثار تروق المؤرخ .

الاستاذ الياس بك القدسي

في اليوم الثلاثين من تموز الماضي فقد المجمع العلمي احد أعضائه الاعزة المرحوم الياس بك عبده القدسي فاشتد على رصفائه المصاب به . ولد في مدينة دمشق سنة ١٨٥٠م وكان والده يعدُّ من الاغنياء في عصره بارعاً بالموسيقى محباً للعلماء والادباء بحيث كانت داره مباءة لهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، ولما ترعرع ولده دخل مدرسة ابتدائية لطائفة الروم الارثوذكس فتلقى فيها مبادئ العربية واليونانية ثم وافى مدرسة عينطورا في لبنان فأتقن اللغة الافرنسية وبعد ذلك غادر الشام الى آثينة فدرس في جامعتها ست سنين ونال شهادتها المؤذنة باتقانه اللغة اليونانية القديمة والحديثة . وتعلم مبادئ الايطالية والانكليزية والتركية ، وعاد في سنة ١٨٧٢ الى دمشق يتولى برعاية والده شؤون القنصليات اليونانية والبرتقالية والبلجيكية والهولاندية وظل على ذلك الى سنة ١٨٨٨ فولي قنصلاً لليونان ثم وكيلاً للنمسا والمجر وقنصلاً للبرتقال الى قبيل وفاته .

ولقد عهد البطريرك هروتيوس الى صاحب الترجمة بادارة مدارس الروم ، وكانت كتاتيب صغيرة فأنشأها إنشاءً جديداً ، ووضع لها نُظُمها الجديدة وقلبها رأساً على عقب ، وظل يديرها و يعلم فيها أحياناً مدة ٣٣ سنة بلا أجر ، فتخرج به كثير من أبناء هذه العاصمة ، وخدم أبناء طائفته خدمة مهمة بتأسيس اللجنة الطائفية لها ، وخدم الآداب بان كان مؤسس الجمعية العلمية التاريخية سنة ١٨٧٨ . وقد نشأ له غرام بالقراديات او الشعر العامي فنظم على أوزانها المتعارفة بعض النوادر والوقائع ومنها ما نقله عن لافونتين القصصي الفرنسي ومنها ما وضعه وضعاً ، و يدخل ما نظمه منها في مجلدين لم يطبعا وتروق مطالعتهما . وله نحو عشرين قصة تمثيلية وقصة عادية طبع بعضها . ومن تآليفه كتاب في المعميات والاحاجي او ما يسميه العامة الحزازير تبلغ نحو ٢٥٠ موضوعاً وتكون في مجلدة . ومن رسائله المطبوعة مسك الدفاتر على طريقة هو واضعها ، ومقالة في الحرف الدمشقية طبعت في أعمال مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٣ .. وقد جمع طائفة من الامثال الدارجة بالعربية وقابلها بما يماثلها من اللغات الاوربية بلغت نحو ٣٠٠٠ مثل لم تطبع . ومن أبحاثه مقابلة بين اللغة اليونانية القديمة واللغة العربية والبرهان على اشتراك اللغتين في بعض الاشتقاقات . وهذا الموضوع كان يعمل فيه الى آخر ايامه وقد نشر شيئاً قليلاً منه بالمناسبات في هذه المجلة .

وقد أبنه بعد الصلاة عليه في كنيسة الروم الارثوذكس غبطة العالم المفوه السيد غريغور يوس حداد الرابع ، ومما قاله فيه بعد ان عدد اعماله في النهضة بمدارس الروم سنين طويلة وألمّ بصفاته وأخلاقه انه أخذ الحكمة من منبعها في آثينة . ثم قام على الاثر في البيعة رئيس المجمع العلمي وكاتب هذه السطور وابنه باسم المجمع ، فمما قال فيه : « حقاً ان هذه السنة سنة المصائب ومن أعظمها رحيل صديقنا ورصيفنا المرحوم الياس بك القدسي على صورة سريعة أدهشت الأحباب وأزعجتهم . أفجع الفجائع الفجيعة بالحبيب ، خصوصاً اذا كان الإخلاص المطلق سدى الحب ولحمته . صحبت صديقي الذي أبكيه الآن منذ نحو ٣٢ سنة فما رأيته ، منذ اجتمعنا الى ان قضى الله بفراقنا ، الا مثال الوفاء والكرم ، وهما الصفتان اللتان يمتاز بهما الرجل العربي الحر الأبي .

عرفته وهو يؤوينا في بيته ، ويحمينا بالعَلَم الذي كان يرفرف على داره ، فما كان الا كأحدنا او أشد غيرة على هذا الوطن ، وربما كان اكثر تأثراً عليه ، وسعياً لاستكمال أسباب سعادته . عرفته أديباً يحب كل من اشتغلوا بالعلم والأدب ، وينهيء لهم السبل الى التكامل ، ويدفعهم الى التقدم . ولما أنشيء المجمع العلمي بعد الحرب العالمية كان اول من لبى دعوة اخوانه ليعمل معهم ، وكان عمله يوازي عمل الشباب من الأعضاء ان لم يبزّهم . وما وَكل اليه قط امر ولم يوفه حقه ، ويتمه على نظام تام وتدقيق عجيب .

كان المجلس الذي يجلس فيه صديقي الياس القدسي مجلس الانس بجملته وتفصيله ، يفيض بهجةً وسروراً ، لانه على ما أوتي من علم حديث وعرف من لغات حية وغير حية وخبر من أحوال المجتمع ، المرجع الاول في اللغة العربية العامية ، ومَن منه لم يقرأ شيئاً مما خطته أنامله من الشعر العامي ، وأملاه روحه الشفاف من النكات ولم يعجب ويعتبر . وربما لا أُخطيء اذا قلت ان صديقي الراحل كان صورة من صور القصور القديمة وتربيتها ، ممزوجة بروح عصري ، فهو قديم وحديث ، وهو عصامي وعظامي . فلئن حزنت لوفاته فقد فقدت به أخاً باراً ، وخلاً وفياً ، وأديباً فناناً ، وخبيراً في شؤون هذا المجتمع يكاد يكون منقطع القرين بمعلوماته ، ونسخة جميلة من التربية القديمة العربية ، مزينة بالتربية الحديثة . وهو نادر المثال بتربيته وأدبه ودوؤبه ولطف نادرته وجميل محاضرته . رحمه الله عدد حسناته وطيب صفاته ، وسبحان من هذا فعله لا رادّ لقضائه ، ولا مفرّ من بلائه ، وانا لله وانا اليه راجعون .

م . ك